الشفاعة وان اختصت باهل الكبائر لكن منشأها الايمان وبعض الحسنات التي
يصير سببا لرضى الشفيع عنه ووسيلة اليه وبهذا يخرج الجواب عما قالوا ان من
حلف بالطلاق ولا يعلم ما يحمله اسلا الشفاعة انه لو مؤمن بالطاعات لا المعاصي قوله خاتمة
ظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم يدل على ان الكبائر متميزة
عن الصغائر بالذات لا كما قيل ان كل سيئة فهي بالنسبة الى ما فوقها صغيرة وبالنسبة الى
ما دونها كبيرة لانه لا يتصور حينئذ اجتناب الكبائر الا بترك جميع المنهيات سوى واحدة هي
دون الكل والى النسبة ذلك مع هذا ذهب بعضهم الى تفسير الكبيرة بانها التي تشعر
بقلة الاكتراث بالدين او التي توعد عليها الشارع بخصوصها وبعضهم الى تعيين الكبائر
ففي رواية ابن عمر رضي الله عنهما انها الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنا
والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وزاد
في رواية ابي هريرة اكل الربا وفي رواية علي رضي الله عنه السرقة وشرب الخمر قوله
المبحث الثاني عشر في التوبة هي في اللغة الرجوع يقال تاب وثاب واناب
اذا رجع فاذا اسند الى العبد اريد رجوعه عن الزلة الى الندم واذا اسند الى الله تعالى اريد
رجوع نعمه والطافه الى عباده وفي الشرع هي الندم على المعصية لكونها معصية وقيد بذلك
لان الندم على المعصية لاضرارها ببدنه او اخلالها بعرضه او ماله او نحو ذلك لا يكون توبة واما
الندم لخوف النار او طمع الجنة فهل يكون توبة فيه تردد ومبني على ان ذلك هل يكون ندما عليها
لقبحها ولكونها معصية ام لا وكذا الندم عليها لقبحها مع غرض آخر والحق ان جهة القبح
ان كانت بحيث لو انفردت لتحقق الندم فتوبة والا فلا كما اذا كان الغرض مجموع الامرين
لا كل واحد منهما وكذا التوبة عند مرض مخوف بناء على ان ذلك الندم هل يكون لقبح المعصية
ام لا بل للخوف كما ان الاخرة عند معاينة النار يكون بمنزلة ايمان الياس والظاهر من
كلام النبي صلى الله عليه وسلم قبول التوبة ما لم تظهر علامات الموت ويتحقق الندم بالحزن والتوجع على ان فعل
وتمنى كونه لم يفعل ولا بد من هذا القيد للقطع بان مجرد القول بالترك كما لا يصح اذا [illegible] صح
الى بعض المباحات ليس بتوبة ولقوله عليه السلام الندم توبة وقد يزاد قيد العزم
على ترك المعاودة في المستقبل واعترض بان فعل المعصية في المستقبل قد لا يخطر بالبال
لذهول او جنون او موت او نحو ذلك وقد لا يقدر عليه لعارض آفة كخرس في القذف
وسئل

وسئل او جب في الزنا فلا يتصور العزم على الترك لعدم القدرة الا اشعار بالقدرة و
الاختيار فاجيب بان المراد العزم على الترك على تقدير الخطور والاقتدار حتى لو سلب
القدرة لم يشترط العزم على الترك بهذا يشعر كلام امام الحرمين حيث قال ان العزم
على ترك المعاودة انما يعتبر في التوبة في بعض الاحوال ولا يطرد في كل حال اذ العزم انما يصح ممن
يتمكن من مثل ما قدمه ولا يصح من المجبوب العزم على ترك الزنا ولا من الاخرس العزم على
ترك القذف هذا ذكره وفي المواقف ان قولنا اذا قدر لاخراج سلب القدرة على الزنا والقطع
لمن رجع عن العفو اذا عزم على تركه لم يكن ذلك توبة منه ليس على ما ينبغي لا اشعار بان
العزم على الترك يصح مع عدم القدرة على الفعل وبان الندم على الفعل مع العزم على الترك يكفي
في التوبة بل لا يبعد ان يصح ذلك مع فوات القدرة وكلام الامام وغيره ان عدم القدرة لا يشترط
في التوبة العزم بل لا يصح ويكفي مجرد الندم لا يقال مراد المواقف ان مجرد هذا العزم بدون الندم
ليس بتوبة لانا نقول لا يعود هذا القول الكلام لا بيان لفائدة التقييد بالقدرة وقد يتوهم ان تقييد
القدرة قيد للترك لا للعزم اي يجب العزم على ان لا يفعل على تقدير القدرة حتى يجب على
من عرض عليه الآفة ان يعزم على ان لا يفعل لو فرض وجود القدرة وبهذا يشعر ما في
المواقف ان الزاني المجبوب اذا ندم وعزم انه لا يعود على تقدير القدرة فهو توبة عندنا
خلافا لابي هاشم ثم التحقيق ان ذكر العزم انما هو للبيان والتقرير لا للتقييد والاحتراز
اذ النادم على المعصية لقبحها لا يخلو عن ذلك العزم البتة على تقدير الخطور والاقتدار هذا
وقد شاع في عرف العوام اطلاق اسم التوبة على الاستغفار واظهار العزم على ترك المعصية
في المستقبل وليس من التوبة في شيء ما لم يتحقق الندم والاسف على ما مضى وعلامته طول
الحزن والحزن وانسكاب الدمع ومن نظر في باب التوبة من كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام
وتامل فيما يروى من قصة استغفار داود عليه السلام علم صعوبة امر التوبة والمعتزلة لما حكموا
بالكبيرة على الايمان وجزموا بالدخول بل الخلود في النيران ما لم يتوبوا اهتموا امر التوبة
حتى اعتقد عوامهم انه يكفي مجرد قول العاصي تبت ورجعت وخواصهم انه يكفي ان يعتقد انه
اساء وانه لو امكنه رد تلك المعصية لردها ولا حاجة الى الاسف والحزن لان اهل الجنة
يندمون على تقصيرهم ولا حزن لهم وانما الحزن لتوقع الضرر ولا ضرر مع الندم ولان العاصي
مكلف بالتوبة في كل وقت ولا يمكنه تحصيل الغم والحزن فيلزم تكليف ما لا يطاق قوله

Copyright © King Saud University